الفصل الرابع
دور البربر في الحياة الاجتماعية

- حالة البربر الاجتماعية.
- صفات البربر.
- الصفات الجسمانية.
- تقاليد البربر وعاداتهم في الزواج.
- المرأة في مجتمع البربر.
- بعض المشكلات الأسرية في مجتمع البربر.
- الأوقاف والأحباس ودورها في الرعاية الاجتماعية في مجتمع البربر.
- عادات البربر وتقاليدهم.
- المأتم.
- الأعياد والمناسبات.
- عادات اجتماعية سيئة.
- البيوت والأدوات.

obeikan.com

- الملابس.
- لباس المرأة وتزيينها.
- وسائل الترفيه والتسلية.
- الطعام وأنواع الشراب.

obeikan.com

حالة البربر الاجتماعية:

إن سيطرة الإغريق والرومان لفترة طويلة على بلاد المغرب أدت إلى تأثر سكان السواحل وسفوح جبال أطلس كثيراً بهم، ثم دخل من بعدهم العرب المسلمون الفاتحون وتأثروا بهم أيضا.

ومجتمع البربر بطبيعته قبلي ينتسب أفراد القبيلة غالباً إلى أب واحد، وجد واحد؛ مما يعني أن الرابطة بين أفراد القبيلة هي رابطة الدم وكلمة (بنو) بالعربية ترادفها كلمة (آت) بالبربرية، وشيخ القبيلة أو زعيمها يسمى (أمغار)[١] وبعض القبائل كانت كبيرة جداً؛ بحيث تشكل أمة بحد ذاتها، مثل صنهاجة؛ يقول ابن خلدون[٢]: "صنهاجة ثلث قبائل البربر".

لم توجد فوراق كبيرة بين المسلمين الداخلين والبربر على الرغم من أن العرب كانوا أعلى من حيث المستوى الحضاري[٣]، وكانت تحدث صراعات قبلية بين البربر أنفسهم؛ خاصة بين البربر البرانس والبربر البتر التي ظلت قائمة في العصر الإسلامي، وكان في المغرب أقليات ضئيلة إلى جانب البربر والعرب من الأفارقة، والسودان، واليهود ولم يكن لتلك الأقليات شأنٌ في عصر الخلافة الأموية[٤].

عموماً أثرت الأجناس التي دخلت المغرب على تكوينه الاجتماعي؛ وخاصة العرب المسلمين نتيجة الاختلاط ودخول البربر في الإسلام والزواج

---

(١) تعني الزعيم أو السيد ولا زالت دارجة حتى اليوم.(زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج١، ص١٠٥).

(٢) العبر، ج٦، ص١٥٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢١. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤.

(٤) البكري: المغرب، ص٦. الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص١٤٠.

فيما بينهم[١]، أما اليهود فقد كانوا قلة معزولة يمارسون الأعمال الحرفية، وكذلك النصارى[٢]؛ بالإضافة إلى السودان والأفارقة الذين لم يكن لهم شأن يذكر على الرغم من دخول الكثير منهم في الإسلام، وتركهم الدين المسيحي؛ إلا أن ذلك لم يحسن من وضعهم في عصر الخلافة الأموية، ومن بعدها العباسية[٣].

وقد ارتبط البربر بصلات وثيقة مع السودان بسبب الارتباط الجغرافي، وكان البربر يجلبون الرقيق منها عن طريق التجار أو غزوهم لأطرافها[٤]، أما اليهود فهاجروا إلى المغرب في العصر الروماني، وكانوا قلة شكلت تأثيراً في الحياة الاقتصادية[٥].

وبسبب سياسة بني أمية المتعصبة للجنس العربي نشبت العديد من ثورات البربر التي تم ذكرها مسبقاً، وكان الهدف منها القضاء على سلطة العرب[٦]، كذلك قيام دول الخوارج في بلاد المغرب أدى إلى إنشاء مدن أسهمت في تحقيق

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٧٨.

(٢) ابن أبي الزرع: روض القرطاس، ص١٩-٢٠. الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص١٤١-١٤٢. الحبيب الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة مدرار، ص١٩٥، كلية الآداب، جامعة تونس، منشور ضمن بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣م.

(٣) البكري: المغرب، ص٦. مؤنس: ثورات البربر، ص١٥٣. محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٨٥-٢٨٦. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج١، ص١١٢.

(٤) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج١، ص١١٤.

(٥) اليعقوبي: معجم البلدان، ص٣٤٥. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٨٦.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٥٤.

الاستقرار الاجتماعي والبشري[١]، وعلى سبيل المثال كان المجتمع القيرواني مقسماً إلى فئات اجتماعية على رأسها فئة التجار، وهي الفئة البارزة في المجتمع والأعلى حظاً، من الجدير بالذكر أن كثيراً من العلماء كانوا من طبقة التجار لممارستهم هذه المهنة إلى جانب عملهم العلمي، وقد تعرض بعضهم للاضطهاد بسبب مواقفهم في مسائل دينية[٢]، وأيضا كان يوجد بالمجتمع القيرواني فئة أهل الذمة من اليهود والنصارى، أما الفئة العاملة الأكثر عدداً فهم العبيد والرقيق أو من تم إعتاقهم منهم، أو من الفقراء النازحين من الأرياف، وقد شكلت هذه الفئة الدعامة الأساسية للاقتصاد[٣].

لقد تحول البربر من مجتمع بدوي يعتمد على رعي الإبل والتنقل بحثاً عن الماء والمرعى إلى مجتمع زراعي، وصناعي، وتجاري، وأسسوا القرى والمدن واستقروا فيها[٤]، الأمر الذي غير حياة البربر الاجتماعية كثيراً[٥]، ومثال على ذلك تحول إقليم تاهرت من غابات تسكنها الحيوانات المفترسة إلى مدن عامرة، وانتقل السكان من حياة البداوة إلى حياة التحضر، وتحولوا عن الرعي إلى الزراعة والتجارة[٦].

(١) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١١٢.
(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩٦.
(٣) سوادي: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص٢٣٥-٢٣٦.
(٤) مجهول: الاستبصار، ص٢٠١. حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص٢٧١. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٨٨.
(٥) البكري: المغرب، ص١٤٨.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٤٢٧. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٨٩.

صفات البربر:

عرف عن البربر الشجاعة وحدة المزاج والغيرة على الحرية، وهم عامةً جنس خشن معتاد على بيئة الصحراء القاسية[١]، وهم في ذلك يشبهون عرب شبه الجزيرة كثيراً[٢]، وهم أهل شجاعة معتادين على خوض الحروب وقد قاوم بعضهم المسلمين الفاتحين بشدة لأكثر من ستين سنة حتى أدركوا حقيقة الغرض من دخولهم وهو نشر الإسلام[٣] إلا أن البربر اعتقدوا بالسحر والشعوذة والتنبؤ؛ الأمر الذي سهل انقيادهم لزعماء استغلوا هذا الضعف فيهم[٤] وبدأ واضحاً في حروب الكاهنة التي قاومت الفتح الإسلامي للمغرب، وفي دعوة أبي عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية[٥].

- الصفات الجسمانية:

ينقسم البربر من حيث الجنس والشكل إلى نوعين مختلفين؛ الأول: يؤلف أغلبية سكان البلاد ويتميزون ببشرة سمراء وشعرٍ أسود، وشكل الرأس المستدير، والخدين البارزين، والأنف القصير، والجبهة المقوسة، وهي مشابهة لصفات سكان جنوب إسبانيا وإيطاليا وفرنسا، أما الجنس الثاني من السكان؛ فيقتصر على سكان الريف في المغرب الأقصى، وسكان جبال جرجرة في

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٣-٩٩. منى محمود: تاريخ المغرب والأندلس، ص٦.
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢١.
(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٩١-٩٢-٩٣. الهرفي، سلامة محمد سلمان: دولة المرابطين في عهد علي يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية، ص٢٩٥، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٥م. موسى أحمد: دور القبائل البربرية، ص٤٤.
(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٢-٨٣. منى محمود: تاريخ المغرب والأندلس، ص٦.
(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩٣.

المغرب الأوسط، ويتميزون بلون الشعر الأشقر، وبياض البشرة، والعيون الزرقاء، واستطالة الرأس، ودقة الأنف، ورقة الشفتين، وتسطح الجبهة(١)، كما تميز بعض البربر بالوسامة؛ مثل قبائل ورفجومة، وكانوا يعتبرون أنفسهم من أوسم بطون نفزاوة، وأشدهم قوة، ومواطنهم بجبال أوراس(٢).

الطعام وأنواع الشراب:

يلعب المناخ وطبيعة الأرض دوراً مهماً في نوع الطعام الشائع بين سكان البلد، وقد يطرأ الكثير من التغيير على حياة الناس نتيجة تغير الظروف الاقتصادية للبلد، فعند انتعاش الحركة الاقتصادية في بلدٍ ما يتفنن الناس في أنواع الطعام، وكل بلدٍ لها طابع مميز في الطعام قد لا يجد في بلد آخر(٣).

وشكّل الخبز غذاء لجميع سكان المغرب الإسلامي، وكان أفضل الخبز وأجوده خبز الحنطة "القمح"(٤). إلى جانب ذلك وجد خبز الشعير حيث أعتمد بربر تادلة في غذائهم على الشعير(٥)، وكذلك تميزوا بأكل أنواع من خبز الشعير الذي يشوى في مقلاة مصنوعة من الفخار تشبه مشواة الفطائر

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٣. شكري حسين: تاريخ المغرب والأندلس، ص١١.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣١ـ ٢٣٢. مجهول: مفاخر البربر، ص٩٨. ناهد مصطفى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب، ص٢٧٠، رسالة ماجستير.

(٣) مجهول: كتاب الطبيخ، العدد٩، ص٦٢، تحقيق/ أمبروزيو أويثي ميراندا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦١-١٩٦٢م.

(٤) مجهول: الطبيخ، ص٧٩. الصومعي، أحمد بن أبي القاسم التادلي(ت١٠١٣هـ/١٦٠٤م): كتاب المعزى في مناقب سيدي أبي يعزى، ص١٧٠، تحقيق/ على الجاوي، منشورات كلية الآداب، بأكادير، جامعة ابن زهر، ١٩٩٧م. الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٠٨. الإدريسي: نزهة المشتاق،ج١، ص٢٢٤.

(٥) الصومعي: كتاب المعزى، ص١٧٢.

والحلوى، وهذا الخبز مصنوع من عجين خالية من الخميرة[١].

وكانت المرأة تصنع عجين الخبز في البيت[٢]، ومع تطور المجتمع أصبح الخبز يباع في السوق؛ إلا أن ذلك لم يؤثر على عمل الخبز في البيت، وبالإضافة للخبز واللحم كانوا يأكلون العسل[٣].

كذلك اعتمد البربر في طعامهم على ألبان الإبل ولحومها[٤]، وكانوا يذبحون الذبائح الكثيرة في الأعياد والأعراس، والمناسبات، وطعام الفقراء[٥]، ويذكر ابن حوقل[٦] أن البدو من البربر كانوا يعتمدون في طعامهم على اللحم المجفف، واللبن، والتمر، ولا يعرفون الخبز. وكان طعام بعض بربر صنهاجة اللحم الجاف والسمن المذاب.

أما شراب البربر المفضل فكان اللبن، وقد استغنوا به عن الماء فظلت أبدانهم قوية صحيحة من المرض[٧]، في حين بربر كدالة كانوا يأكلون قديد لحم الجمال، ويشربون لبن النوق[٨]، كذلك بربر لمطة كانت اللحوم المقددة جل طعامهم مع العسل[٩]، وشربهم لبن النوق[١٠].

---

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٠٨. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١١٢.
(٢) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١١٥.
(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه،ج١، ص٢٢٤.
(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩١. كمال السيد: محاضرات في تاريخ المغرب، ص١٠٧.
(٦) صورة الأرض، ص١١١.
(٧) البكري: المغرب، ص١٦٤. ١٧٠.
(٨) ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، ص٤٦، نشر/ فرني جنس، تطوان، ١٩٦٥م.
(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٤.
(١٠) ابن سعيد: كتاب الجغرافية، ص١١٢.

كانت أشهر أكلات البربر المنسوبة إليهم هي البربرية[١] والمروزية [٢]. وكان البربر يحبون الدرَّق المنقوع في اللبن، وكان يجلب من منطقة السوس الأقصى من منطقة تسمى لمطة ويعرف بدراق المَلْط[٣]، كذلك اشتهر البربر بعمل طبخة مشهورة تسمى الكسكس، وهي من الوجبات الأساسية في بلاد المغرب حتى اليوم، وكانت تعمل من عجينة ثم تحول إلى حبيبات في حجم الكزبرة، ثم تطبخ في قدور مثقوبة تتلقى بخارا من قدر آخر في أسفله يسمى (الكسكاسة) ثم يضاف السمن إلى هذه العجينة، وتسقى بمرق اللحم[٤]. أما بربر مدينة فاس عرف سكانها عدة أنواع من الأطعمة مثل طعام الغرس المخلل والذي يتكون من اللحم البقري أو الغنمي المقطع تقطيعاً صغيراً والمضاف إليه الملح والكزبرة والكمون، والثوم ويغمر بالخل ويرفع على نار معتدلة حتى ينضج[٥].

كذلك اهتم البربر بأكل اللحوم بأنواعها منها لحوم الأغنام واللحم البقري[٦]؛ كما اهتم البربر بالأسماك وطبخها وقليها في الزيت؛ منها سمك اللبيس، والبوري، والبوقة التي تميزت بطعمها اللذيذ، ومنافعها الكثيرة[٧]؛

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق،ج١، ص٢٢٤.

(٢) مجهول: الطبيخ، ص٤١.

(٣) الهمذاني: البلدان، ص٧٨. الزهري: الجغرافية، ص١١٨.

(٤) الشراط ، أبو عبد الله محمد بن عيشون(ت١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، ص١٠٢-١٠٣، ٢٣٠، تحقيق/ زهراء النظام، منشورات كلية الآداب الرباط، ١٩٩٧م.

(٥) مجهول: الطبيخ في المغرب، ص٢٦.

(٦) مجهول: الطبيخ في المغرب، ص١٩٩.

(٧) مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٥١، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت

كذلك اشتهر بربر مكناسة بطبخ سمك الشولي الذي يقدم مع أصناف البقل[١]، أما بربر مدينة فاس فقد اشتهروا بطباخة سمك الشابل[٢]؛ كما اشتهر بربر سبته بتفننهم في طبخ سمك الحوت[٣].

كذلك كان البربر يأكلون الجراد التي تجتاح المغرب من وقت لآخر[٤]، منهم بربر السوس الذين اشتهروا بأكل الجراد مقلياً ومملحاً[٥]؛ وإلى جانب وجبات اللحوم والأسماك أعد البربر على موائدهم الأطعمة المكونة من البقوليات[٦].

كذلك احتوت الموائد على كل أصناف الثمار اللذيذة كالتين، والتمر، والخوخ، والمشمش، والسفرجل، والعنب، والرمان، والكمثري[٧]، وقد اعتاد بربر مدينة طرابلس على تناولها لتوفرها بكثرة في بلادهم[٨]، فعلى سبيل المثال

رقم ٥٦٦ تاريخ، ٢٧٤١٧ميكروفيلم.

(١) مجهول: الطبيخ، ص١٨٥.

(٢) جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب، ص٢٠١.

(٣) البكري: المغرب، ص١٣٩. مجهول: كتاب الطبيخ، ص١٧٦.

(٤) ابن رزين التجيبي(ت بعد ٦٣٩هـ/١٢٣٨م): فضالة الخوان في طيبات الطعام، ص٢٧٥، تحقيق/ محمد بن شقرون، بيروت، ١٩٨٤م.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق،ج١، ص٢٢٨.

(٦) الخوري، ميشل: لغة ابن زهر، العدد٢٥، ص٢١١، السنة الثالثة عشر، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس.

(٧) **الكمثري:** هو الانجاص ويسميه البربر تيفرست.(الإشبيلي، أبو الخير(كان حيا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي): عمدة الطيب في معرفة النبات، ج٢، ص٤٢٨، تحقيق/ محمد العربي الخطاب، مطبوعة أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٠م.

(٨) ابن حوقل صورة الأرض، ص٧١. رفيق بوراس: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية(٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٨-٩٧٢م)، ص٨٥، رسالة ماجستير، جامعة منتوي

العنب كان يؤكل في وقته أو يجفف فيصير زبيباً أو يعصر فيكون خمراً، كذلك الزيتون كان يجفف ويؤكل طوال العام(١).

ومع الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية وخاصة في زمن الفاطميين تغيرت حياة البربر(٢)، وأصبح البربر يأكلون ألواناً شتى من الطعام، والحلويات؛ فقد ذكر صاحب كتاب الطبيخ أكثر من خمسمائة نوع من الأطعمة والأكلات والحلويات، يدخل في تركيبها مواد كثيرة ومتنوعة دليل على توفرها للناس بالأسواق؛ منها حلوى الكنافة، والكعك، كما اشتهر بربر مدينة فاس بعمل حلوى (التارفست) التي يصنع من رغيف الرقائق، وعليها كمية من الماء ومثلها من العسل مع مخلوط الزعفران ويحرك في العجين ثم يفرغ في جفنة وينثر عليه اللوز(٣).

ومن مظاهر الترف الاجتماعي شراء الرقيق للخدمة، وكذلك لعمل الحلويات(٤). الأمر الذي شجع هذا النوع من التجارة(٥)، وكانت أفضل الجواري تجلب من أودغست بالسودان، وكانت تباع الواحدة منهن بمائة دينار أو يزيد لحسن عملهن الأطعمة الطيبة؛ ولا سيما أصناف الحلويات مثل الجوزينيات، واللوزينجات، القاهريات التي تتكون من اللوز والسكر

قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٨م.

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٨٨.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩٦.

(٣) مجهول: الطبيخ، ص٢٠٧.

(٤) البكري: المغرب، ص١٥٦. الحميري: الروض المعطار، ص٦٣.

(٥) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٢٠، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ط)، (د. ت). الزهري: الجغرافية، ص١٢٥-١٢٦.

والقرنفل وكافور المسك ممزوجاً في أرغفة[١].

كما كان طعام المناسبات له أسماء مختلفة فطعام العرس والزفاف يسمى (الوليمة)، وفي حالة عقد الزواج يسمى "الإملاك"، والنقيعة عند عودة الرجل من السفر، أما "الوكيرة"[٢] فطعام يصنع بعد الفراغ من بناء البيت والطعام الذي يصنع بعد مرور أسبوع على ولادة الطفل يسمى "عقيقة" أما في الختان فيسمى "الإعذار"، ويذكر ابن عبد ربه[٣] أن طعام بقية المناسبات التي يدعى فيها الأفراد أو الأهل يسمى " المأدبة" والشخص الذي يقيم المأدبة يسمى آدِب. وكان البربر يستعملون الزيوت، بكثرة سواءً في الطبخ أو لمسح الشعر، والجسم، وخاصة زيت الهرجان[٤] الذي تحمص بذوره في وعاء من الفخار لاستخراج الزيت منها[٥].

أما ماء الشرب فقد كانت الكثير من قبائل البربر تعتمد في شرابها على مياه الآبار العذبة والعيون[٦]، وكان البربر مولعون بشرب الماء بارداً جداً؛ حتى مع

(١) البكري: المغرب، ص١٥١. الحميري: الروض المعطار، ص٥٤. مجهول: كتاب الطبيخ، ص٢١٢.٢١٣

(٢) هذا الاسم شائع الاستخدام في اليمن في الوقت الحاضر، والأرجح أنه انتقل إلى المغرب زمن الفتح مع دخول اليمنيين إليها.

(٣) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد(ت٣٤٩هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، ج٦، ص٣٠٢-٣٠٣، ط(١)، ٢٠٠١م، دار صادر، بيروت.

(٤) **الهرجان:** شجر له ثمار مثل المشمش، عندما ينضج يسقط على الأرض ويعصر ويطحن ويقطر منه زيت صافٍ رقيق الأجزاء، ولا يوجد هذا الزيت إلا في بلاد السوس، ولا زال يعرف باسم زيت الأركان حتى اليوم.(الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٨).

(٥) البكري: المغرب، ص١٣٦. الوزان: وصف إفريقية، ص١٠٧.

(٦) البكري: المغرب، ص١١٠.

الطعام الساخن الأمر الذي يسبب ألم الأسنان[١].

وكان شراب أهل السوس؛ وخاصة بربر مدينة أيجلي من ماء قصب السكر نظراً؛ لتوفر قصب السكر بها[٢].

- **تقاليد وعادات البربر في الزواج :**

دعا الإسلام إلى تكوين الأسرة عن طريق الزواج الذي يشكل أول لبنة لبناء الأسرة[٣]، وعلى الرغم من دخول البربر في الإسلام إلا أن ذلك لم يمنع بقاء بعض عادات البربر وتقاليدهم سارية في العهد الإسلامي، التي لا تتعارض معه، ويذكر أن اليمنيين امتزجوا بالبربر على نطاقٍ واسع من خلال الزواج فيما بينهم؛ كما شجع أمراء الأدارسة الزواج بين البربر واليمنيين[٤].

وفي مرحلة الخطبة تبدأ عادة الاستشارة الداخلية في البيت من قبل الخاطب[٥]، فكان معظم سكان المغرب يفضلون مواصفات المرأة الشقراء والبدينة مؤكداً ذلك قول النفزاوي[٦] في المرأة المفضلة عند الرجال "المرأة كاملة القد، العريضة خصيبة اللحم، كحيلة الشعر، واسعة الجبين، زجة

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٩٣.

(٢) مجهول: الاستبصار، ص٢١٢.

(٣) جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصري المرابطين والموحدين)، ص٢٧٩، ط(١)٢٠٠٤، دار الوفاء الإسكندرية.

(٤) ابن بسام، أبو علي الحسن علي الشنتريني(ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١، ج١، ص٩٦، تحقيق/ إحسان عباس، دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.

(٥) الونشريسي: عدة البروق في جمع ما في المذاهب من فروق، ص٢٢٠، تحقيق/ حمزة أبو فارس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.

(٦) الإمام النفزاوي(كان حياً عام ٧٢٥هـ/ ١٣٤٢م): الروض العاطر في نزهة الخاطر، ص٤٧، تحقيق/ جمال جمعة، ط(٢) ١٩٩٣م، لندن، قبرص.

الحواجب، واسعة العيون، مفخمة الوجه أسيلة الخدين، ظريفة الأنف، ضيقة الفم، محمرة الشفاه واللسان، طيبة الرائحة في الأنف والفم، طويلة الرقبة، غليظة العنق، عريضة الأكتاف والصدر، واقفة النهد ممتلئ صدرها ونهدها لحماً، ظريفة اليدين والرجلين، عريضة الذراعين بعيدة المنكبين، وفضلت المرأة قليلة الضحك والكلام في غير نفع، ثقيلة الرجلين عند الدخول والخروج لبيت الجيران، قليلة الكلام معهم، لا تعمل من النساء صاحبة، ولا تطمئن لأحد ولا تركن إلا لزوجها، ولا تخون في شيء، ولا تغدر ولا تتستر على حرام، تعين الزوج في كل حال من الأحوال قليلة الشكاية والنكاية..."، وبعد تحديد المواصفات المرغوبة في الزوجة تأتي مرحلة الخاطبة التي تقوم بدورها في التمهيد بين أهل العروسين(١).

بعد قبول الفتاه وولي أمرها بالخاطب يذهب أهل العريس إلى منزل العروس ليتم الاتفاق معهم على كل ما يتعلق بعقد الزواج من صداق وهدايا وشروط؛ كأن تشترط العروس أن لا يتزوج عليها بأخرى ويكتب ذلك في العقد(٢)، وكان البربر عامةً لا يفضلون تعدد الزوجات لما فيه من كثرة المسؤوليات والنفقات، ويكتفي الواحد منهم بزوجة واحدة(٣)، وإذا خالف الزوج الشروط التي في العقد يحق للمرأة أن تشتكيه عند القاضي(٤)، وكان في

(١) أبو المطرف المالقي، عبد الرحمن بن قاسم(ت٤٩٧هـ/١٠٩٤م): الأحكام، ص٤٠٣، تحقيق/ الصادق الحلو، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م. روجي: فاس قبل الحماية، ج٢، ص٧٢٤.٧٢٥.

(٢) الأرجح أنها من عادات أهل اليمن التي نقلوها معهم إلى المغرب.(ابن حزم: الجمهرة، ص٢١. الملصي: القبائل اليمنية، ص٢٤٩).

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٦. خالد حسين: حضارة مدينة فاس، ص٢٤٩.

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٤٨- ٣٤٩.

الأعراف الجارية أثناء فترة الخطوبة أن يهادي العروس عروسته أو خطيبته في الأعياد والمناسبات هدية لا تتعدى الفاكهة والصابون والحنا[١]؛ كما كان يهدي الميسورون كبشاً في الأعياد[٢].

وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران في أحد الجوامع أو المساجد على يد القاضي، أو ما يسمى بصاحب الأنكحة، أما المواضع البعيدة مثل القرى والحصون؛ فكان إمام المسجد هو الذي يتولى عقد الزواج دون إذن من القاضي لبعد المسافة بينهما وخلال عقد الزواج يتفق الطرفان على الصداق، وينقسم الصداق بالمغرب الإسلامي للزوجة إلى قسمين معجل ويسمى النقد ومؤجل ويسمى المؤخر وقد كانت بعض الأسر المغربية تتفاخر بما يقدمه الزوج لزوجته من صداق حتى إنها أصبحت عادة، فكان ما يكتب في الصداق إنما يكتب من أجل السمعة[٣].

وقد يهب ولي العروس للعروسة بعض الهدايا لتجهيزها عند زوجها، وكان أهل المغرب يحرصون ألا تتزوج اليتيمة قبل البلوغ، وبموافقتها، ويتأكد الشهود من ذلك عند النظر إلى وجهها وقدها لتأكد من أنها ليست طفلة، بالإضافة إلى استشارة الثقات من النساء، وكان جارياً في المغرب أن تذهب النساء الأقل شأناً ومكانة اجتماعية إلى المسجد ليتولى تزويجهن الإمام دون العودة إلى قاضي الحضرة، على أساس أن في الزواج إصلاح شأنهن[٤].

---

(١) كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، ص١٠٣.

(٢) العلمي، محمد علي: كتاب النوازل، ج١، ص٥٥، تحقيق/ المجلس الأعلى بفاس، الرباط، مطبعة وزارة الأوقاف، ١٩٨٣م.

(٣) كمال أبو مصطفى: مظاهر الحضارة الاجتماعية بالمغرب، ص١٣.

(٤) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٣، ص٩٦. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته،

وبعد الزواج تبدأ أسرة العروس في إعداد الجهاز، ويهب ولي العروسة لبنته بعض الهبات والعطايا ما يكون في تجهيزها[١]، وقد حرصت العروسة في بلاد المغرب كما في بقية البلاد الإسلامية على تجميل نفسها وقد وصفها الإدريسي[٢] بقوله" وفي نسائهم جمال فائق وحسن وجمال ظاهر وحذق صناعات بأيديهن". وكانت تأخذ العروسة إلى الحمام العام، ويتم تحميمها، وما يتبع ذلك من تجميل[٣]، وعند زفافها كانت الماشطة تتولى مهمة تجميلها باستعمال العطور والأصباغ والحناء، وتجتمع النسوة في بيت العروس بملابسهن؛ حيث يقمن بعمل الزينة على وجهها التي يتحمل الزوج بعضا منها؛ إذ يرسل إليها بعضا من المال لتستعين به في شراء مستلزمات الزينة من دهان جسدها ووجهها، وبعض الأصباغ، والحناء وهو ما يعرف بحق الزوجة[٤]؛ كذلك الطيب وهو من مكملات التزيين عند المرأة[٥]، ثم الحلي وهو من أهم ما تتزين به البنت

ص١٠٥

(١) كمال أبو مصطفى: مظاهر الحضارة الاجتماعية بالمغرب، ص١٤.

(٢) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٨.

(٣) التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م): التشوق إلى الرجال التصوف، ص٣١٠، تحقيق/ أحمد توفيق، الرباط،١٩٨٤م.

(٤) الونشريسي: المعيار، ج٣، ص١٢٩- ١٣٠، ١٥٦، ٢٥٢. جواتياين. س. د. : دراسات في التاريخ الإسلامي، ص١٨٥، تعريب وتحقيق/ عطية القوصي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، ص١٠٧. ناهد مصطفى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٧٠.

(٥) البيذق، أبو بكر الصنهاجي(ت في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ص١٣، تحقيق/ عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور١٩٧١م.

لاسيما في ليلة زفافها؛ مثل الذهب والجوهر والياقوت(١)، وكانت المرأة البربرية عامة مهتمة بملابسها وشعرها كثيراً، وكان زيها يشبه زي الرجل مع بعض الاختلاف من حيث الرقة والألوان(٢).

أما في يوم الزفاف فكان من عادات البربر أن الرجل يحلق لحيته عندما يتزوج ثم يطيلها بعد الزواج(٣)، ثم يدعو الرجال لحضور عرسه وجرت العادة أن يقام العرس في حفل كبير يدعى إليه فضلاء الأهل والجيران، ويزين فيه بيت الزفاف(٤)؛ حيث توقد الشموع يوم الزفاف(٥).

كان يتم حفل الزفاف في المجتمع البربري على مرحلتين: الأولى حفل في النهار للرجال، والثانية حفل في الليل للنساء، وكانت تتم دعوة المغنيات وضاربات الدفوف والراقصات إلى الحفل، وتذبح الذبائح وتقام المآدب حسب القدرة المادية، وكان من عاداتهم أن يجلب الضيوف معهم هدايا؛ مثل الطعام والفاكهة والذبائح والدراهم والحبوب(٦)، وكانت من عادات الزواج في بلاد المغرب أن تقام ثلاث ولائم في العرس؛ الأولى: ليلة الزفاف والوليمة الثانية تقام في الليلة الثانية للنساء، والثالثة بعد أسبوع من الزفاف وكانت

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص١٨.

(٢) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص١١٤.

(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٠٩.

(٤) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص٩٠.

(٥) البرزلي: الإمام أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني(ت٨٤١هـ/١٤٣٧م): نوازل الإمام البرزلي، ورقة رقم ١٢، مخطوط معهد المخطوطات العربية، القاهرة تحت رقم ٦٤٤، فقه مالكي.

(٦) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٣، ص٢٥١، ج٩، ص١٨١ـ ١٨٢. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، ص١٠٦.

تحتوي هذه الولائم على الذبائح من لحوم الأبقار والأغنام(١).

أيضا كان من عادات البربر أن يخرج شباب الحي؛ ليشاركوا في زفاف العروس إلى بيت زوجها، ويجتمعوا حول المغني أو الزمار للغناء وضرب الدفوف(٢).

المرأة في مجتمع البربر:

كان للمرأة في مجتمع البربر قبل الإسلام مكانة رفيعة، وحافظت على هذه المكانة في العصر الإسلامي، وكانت مكانتها متمثلة في حجم الحقوق والحريات التي منحها إياها الرجل؛ كما تميز الرجال والنساء على السواء بالجلد والقوة(٣).

تطور وضع المرأة في المجتمع الإسلامي كثيراً؛ إذ إن المرأة شاركت في الحياة السياسية، والدينية والعلمية؛ حيث كانت النساء تحضر الدروس والمناظرات في المسجد، وكي لا يحدث اختلاط بينهم وكان يضرب ستار بين النساء والرجال في المسجد(٤).

واحترفت بعض النساء البربريات غزل الصوف، وأتقن بعضهن عمل الأزياء المزركشة لاسيما في الأعراس(٥)، وكانت المرأة البربرية نشيطة تقوم بمختلف الصناعات وأعمال البيت والطبخ والغسل، وإعداد الخبز والغزل

(١) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٣، ٣٤٥.٣٤٦.
(٢) التادلي: التشوق إلى الرجال التصوف، ص٣١٠. زغلول: المغرب العربي، ج٥، ص١١٥.
(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩٩. زغلول: المغرب العربي، ج٥، ص١١٥.
(٣) سوادى: تاريخ المغرب الإسلامي، ص٢١٩.
(٥) كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١١. خالد حسين محمود: حضارة مدينة فاس في عصر الأدارسة دراسة اقتصادية، ص٢٤٤، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

والحياكة وإعداد الثياب والفراش[١]؛ كما مارست بعض النساء التجارة؛ حيث كن يخرجن إلى الأسواق لبيع منتجاتهن المنزلية؛ مثل الطيور، والألبان، والجبن، والسمن، والفواكه، والحبوب، والأسماك، ومختلف أنواع المصنوعات اليدوية[٢]، كذلك شاركت المرأة البربرية في الحياة العامة فكان بعض النساء يخرجن إلى الأسواق لشراء حوائجهن رغم إفتاء الفقهاء بمنع خروجهن للشراء لما يحصل من المناجاة مع الباعة والاختلاط بالرجال مما يسيء للمرأة[٣]، وكانت النساء يساعدن الرجال في الأعمال مثل الرعي وسقاية الدواب، وغسل الصوف وجمع الحطب[٤]، وتميزت المرأة البربرية بشكل عام بالجلد والقوة إلى جانب أخيها الرجل[٥].

أما صفات المرأة البربرية؛ فكانت تمتاز بالجمال فعلى سبيل المثال المرأة الصنهاجية معروفة باهتمامها بشعرها الطويل الذي يظهر متكسراً أو متموجاً بسبب استخدام زيت الهرجان مع المشط في تسريحه، وكذلك المرأة المصمودية رغم سمرتها الحالكة تمتعت بجمال فائق، مثل نساء مدينة وركلان[٦].

(١) زغلول: المغرب العربي، ج٥، ص١١٥.

(٢) ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر(ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م): بيوتات فاس الكبرى، ص٨، دار المنصور لنشر، الرباط، ١٩٧٢. الشراط: الروض العطر، ص٥١، ١٦١.

(٣) ابن الحاج الفاسي، أبو عبد الله محمد العبدري(ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م): المدخل، ج١، ص١٢٠-١٢١، المطبعة العامرية الشرقية، ١٣٢٠هـ.

(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٩٠. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١١.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩٩.

(٦) الحميري: الروض المعطار، ص٦٠١. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٣.

بعض المشكلات الأسرية في مجتمع البربر:

وكان لكل مجتمع طابعه الخاص وعلى ذلك تظهر فيه مشاكل معينة، ومجتمع البربر مجتمعٌ قبلي في تكوينه يلتزم الفرد بقبيلته طوال حياته، الأمر الذي سبب مشاكل في حالة الزواج من خارج القبيلة، فقد تتمسك الزوجة بحقها في الإقامة في بلدها بعد الزواج وعدم الرحيل إلى بلدٍ آخر(١). وقد يشترط ولي أمر الفتاة ذلك في عقد الزواج، فلا يرحل الزوج بزوجته إلى بلدٍ آخر، وإذا أخل بالاتفاق يلجأ ولي الفتاة إلى القاضي(٢).

وقد تحصل مشكلات أسرية إذا تظاهر الزوج بحسن السلوك قبل الزواج، ثم ظهر منه ما يخالف ذلك من قول أو عمل، وخاصة إذا كان منافياً للدين والعادات والتقاليد، مثل شرب الخمر، ومرافقة أهل السوء، والجهر بذلك، أو عندما يتزوج الرجل من فتاة بكر ويدعي أنه وجدها ثيباً في حينه وفي الغالب يتم التفريق بينهما لزوال الثقة بينهما(٣). ومن المشاكل الأسرية غياب الزوج لفترة طويلة مما يدفع الزوجة للذهاب للقاضي لطلب الطلاق. فيأمرها القاضي بالتأكد من أن الزوج فعلاً مات ليتم لها الطلاق. وتستطيع بعد ذلك الزواج بآخر(٤).

كذلك من المشاكل الأسرية الشائعة في مجتمع البربر أن يكون الزوجان على مذهبين مختلفين، فيسبب ذلك مشاكل كثيرة؛ خاصة إن كانت الزوجة سنية والزوج خارجياً؛ لأن الزوج بحكم القوامة قد يفرض مذهبه عليها وقد يتم

(١) الحميري: الروض المعطار، ص٣٣١.
(٢) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٣، ص١٥٩
(٣) المصدر نفسه : ج٣، ص٢٥٦.
(٤) المصدر نفسه،ج٢، ص٤٣٠.

الزواج دون علم الزوجة أو الزوج باختلاف مذهب الآخر، مما يوقع في الخلاف بينهما، وغالباً ما يسعى أهل الزوجة للتفريق بينهما خوفاً من تأثير الزوج على زوجته فيغير مذهبها[١].

وجرى العرف في بلاد المغرب أنه إذا حدثت مشكلة بين الزوجين يطلب إحداهما من القاضي إرسال أمينة من النساء لمعرفة المعتدي منهما، وإذا تمت مهمتها بنجاح كانت أجرتها على من طلبها، وإذا فُقد الزوج في أرض المعركة أو أثناء رحلة التجارة أو الحج وغير ذلك تتولى الزوجة الوصاية على الأولاد؛ إلا أن البنت يقوم عمها بتزويجها بعد أن تأذن له أمها بذلك لاحتمال وفاة الأب[٢].

الأوقاف والأحباس ودورها في الرعاية الاجتماعية:

اهتم البربر بتوفير الرعاية للفقراء والمساكين والمعدمين؛ كما خصوا الأيتام بعنايتهم فوفروا لهم الحياة الكريمة.

ولعبت الأوقاف والأحباس دوراً مهما في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى للتخفيف من معاناتهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية؛ لأنه لا يتوفر دائماً أغنياء وموسرون لدعم الفقراء، فعندما يتدهور الوضع الاقتصادي في البلد يصبح الأغنياء مشغولين بتلبية حوائجهم عن مساعدة الفقراء والمحتاجين فتقوم الأوقاف والأحباس مقام هؤلاء؛ لأن ريعها مخصص للفقراء، وقد تنوعت الأحباس في المغرب الإسلامي شأنها في ذلك شأن الأحباس في البلاد الإسلامية، ولعل أهمها المساجد والمدارس والزوايا

(١) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٣، ص٢٧٦.

(٢) كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٠٦.

والمقابر والأضرحة، وكذلك الحبس على الفقراء والمساكين، والمرضى، واليتامى، والأرامل، والأسرى[١]، وكذلك عمل الأربطة[٢].

وكان الأغنياء والعدول في المجتمع البربري يجتمعون لاختيار وصي أو من يقوم باليتيم أو اليتيمة، ليرعاه رعاية مطلقة؛ بل ويوصي به قبل أن يموت، ويخصص له جزء من ماله ليعيش منه حتى يبلغ رشده، وإذا كانت فتاة حتى تتزوج[٣]، كما كان بعض البربر يوصي عند موته بأن يكون جزءً من ماله للصدقة، ودائماً ما حظي الفقراء والمرضى برعاية الأغنياء[٤].

وكان أهل الخير عندما يشعرون بقرب الأجل خاصة إذا انتشر وباء أو جائحة في البلد كانوا يكتبون الوصية ويوقفون بجزء من أملاكهم لفداء الأسرى وبعض جهات الخير[٥].

---

(١) كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٨.١١٩.

(٢) **الرباط:** عبارة عن منشأة حربية، يرابط بها مجموعة من المجاهدين لحماية الثغور الإسلامية من هجمات الأعداء، وكان يتكون من صحن يحاط به مجموعة من الحجرات معدة للسكن، وتخزين ما يحتاجه الجنود من أسلحة ومؤن، ويلحق بهذا الرباط مسجد ومئذنة، كما كان يتم من خلال هذه الربط مراقبة البحر، وإشعال النيران في حالة هجوم الأعداء لتنبيه أهل المدينة، وكان المحتاجون يتوافدون على الرباط فيجدون فيه مأواهم، وطعامهم، وكسوتهم. والرباط يؤدي وظيفة اجتماعية مهمة، فضلاً عن أنها كانت منشأة حربية لحماية البلد.(سامي نوار: الكامل في المصطلحات في العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، ص٥٧، دار الوفاء، الإسكندرية ٢٠٠٣م).

(٣) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٩، ص٣٦٤.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩١. كمال السيد: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص١١٧.

(٥) الونشريسي: المعيار،ج٩، ص١٦٥

عادات البربر وتقاليدهم:

لكل مجتمع عادات وتقاليد خاصة به، ومع الزمن تصبح هذه العادات والتقاليد أدلة التعريف الأفضل لهذا المجتمع أو ذاك، وقد نتعرف على بلدٍ أو مجتمع ما من مجرد قراءة وصف نوع الملابس، أو الطعام، أو تقاليد المأتم أو أنواع الاحتفالات والأعياد.

وكان البربر مميزين في ملابسهم وطعامهم وبيوتهم كذلك الحال في احتفالاتهم وأعيادهم، وكان لهم تقاليد مميزة سواءً في العرس أو المأتم أو العيد.

- المأتم:

كان للبربر عادات وتقاليد في المآتم؛ منها أن يعلن وفاة الشخص على الملأ، ويدعى الناس لحضور الجنازة والصلاة على الميت، وحضور الدفن، وقد كانوا في حالة وفاة شخصٍ في المدينة أو القرية يصعد أحدهم إلى منبر المسجد ويعلن عن الوفاة، وينادون على الناس لحضور الصلاة والمشي في الجنازة[١]، ثم يقوم المغسل بتغسيل الميت وتكفينه[٢]، ومن ثم تقام الصلاة على الميت بعد تجمع الناس، بعدها تسير الجنازة في طريقها إلى المقبرة، وكان يردد الحضور بعض الابتهالات بصوتٍ عالٍ[٣]، وبعد دفن الجثمان يصطف أهل الميت لمراسم العزاء على القبر، ومن عاداتهم استئجار مقرئ ليقرأ القرآن عند قبر الميت تلمساً للرحمة للميت، على الرغم من أن ذلك كان مستهجناً واعتبره

(١) الونشريسي: المعيار المغرب: ج١، ص١١٣. برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج٢، ص٣٧٢، ترجمة: حماد الساحلي، دار الغرب، بيروت، (د. ط).

(٢) التادلي: التشوق إلى الرجال التصوف، ص١٨٤.

(٣) الشراط: الروض العطر، ص٢٤٨.٢٤٩، ٣١٨، ٣٢٠.

الفقهاء من البدع[١]، أيضاً من تقاليد البربر خروج نساء بيت المتوفى مع الجيران إلى المقبرة، كما أن المرأة التي يتوفى عنها زوجها تذهب إليه في كل يوم جمعه للزيارة وطلاء القبر بالزعفران[٢].

وكان من عادات البربر أن يصنع أهل الميت طعاماً في اليوم السابع ويوزع على أرحام الميت والفقراء والمساكين كان يسمى بوجبة عشاء القبر[٣].

- **الأعياد والمناسبات:**

كان للبربر العديد من الأعياد والمناسبات المهمة التي يحتفلون بها؛ منها ما كان ذا طابع ديني إسلامي مثل العيدين، وذكرى المولد النبوي؛ حيث كان البربر يهتمون بالأعياد الدينية، والأرجح أن اختلاطهم بالعرب اليمنية أصل هذا الجانب فيهم[٤]؛ حيث كان أهل المغرب يحتفلون بشكلٍ عام بذكرى **المولد النبوي** الذي لاقى اهتماماً كبيراً من قبل ولاة الأمر، وسائر المجتمع. ومن تقاليد البربر في المولد النبوي إنشاد بعض القصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد ذلك تفرش أسمطة الطعام، فإذا شبع الناس رفعت، ثم توزع صحاف كبيرة يحمل الواحد منها جماعة من الرجال فيها اللوز المقشر بالسكر، فيأكل منه الناس، والمنشدون الذين يقومون بإنشاد قصائد المدح النبوية،

(١) التادلي: التشوق إلى الرجال التصوف، ص٢٠٧. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢١٧. الونشريسي: المعيار المغرب، ج١، ص٣١٧.

(٢) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٢، ص٤٨٤.

(٣) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٦، ص٤١٩-٤٢٠.

(٤) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص١٩٢، ط(٢)، ١٩٦٧م، دار الفكر العربي، القاهرة.

والموشحات الدينية[١]. كذلك كانت توقد الشموع في البيوت، والكتاتيب، والمساجد، ويتلى القران الكريم، كذلك كانوا يلبسون الملابس الجديدة، وكانت تكثر في تلك المناسبة توزيع الصدقات على المساكين والمحتاجين، وإعداد الأطعمة لهم[٢].

كذلك احتفل البربر مثلهم مثل بقية المسلمين برؤية **هلال شهر رمضان** المبارك، وعند ثبوت رؤية الهلال توقد النيران لإعلام القرى المجاورة، وتثبت رؤية الهلال من خلال عدلين فأكثر عند مفتي أهل المغرب[٣].

عيد الفطر كان البربر يحتفلون بعيد الفطر ، وفي صبيحة يوم العيد كانوا يخرجون مبكراً لشهود الصلاة[٤]، وبعد أداء الصلاة تبدأ مظاهر التهنئة بالعيد وتبادل الزيارات، وكانوا يقيمون الموائد المليئة بالأطعمة، وأنواع الحلوى؛ كما كان أكل السمك عادة مألوفة في هذا اليوم[٥]، وكان الأغنياء يخرجون الصدقات من ملابس وطعام للفقراء[٦]، وكان الناس يعتبرون العيد يوم إجازة وراحة من العمل فتغلق الحوانيت[٧].

---

(١) المقري: أحمد بن محمد(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص١٣، ط(٢) ١٩٨٣م، المطبعة الملكية، الرباط.

(٢) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١١، ص٢٧٨ــ ٢٧٩. العزفي، أبو العباس(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م): الدر المنظم في مولد النبي المعظم، ص٢٣، نشر فرناندو دي لاجرانجا، مجلة الأندلس، مدريد،١٩٦٩م.

(٣) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١، ص٤١٠.٤١٢. الشراط: الروض العطر، ص٢١٢.

(٤) ابن الخطيب: نُفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص٢٧٦.

(٥) ابن الحاج الفاسي: المدخل، ج١، ص١٤٠.

(٦) ابن الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص١٩٤- ١٩٥.

(٧) الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص٢٤٧.

عيد الأضحى كان البربر يحتفلون في العاشر من ذي الحجة مثل بقية المسلمين، ويبدأ اليوم بأداء الصلاة في المسجد، وبعدها يأخذون في ذبح أضحياتهم، وكانوا يقومون ببيع جلود الأضاحي، وكان في هذا اليوم يتبادلون الزيارات فيما بينهم(١).

الاحتفال **بيوم عاشوراء**[٢]: كان بعض البربر ومنهم أهل مدينة فاس يحتفلون بهذا اليوم ويقومون بطبخ الطعام، ونحر الذبائح وزيارة القبور؛ كما اعتادت النساء استعمال الحناء وتبخير البيت في ذلك اليوم(٣).

وعرف عن البربر وخاصة بنو رستم التشبه بالعرب في إقامة الأسمطة، والجفان لإطعام الفقراء أيام الأعياد والمناسبات(٤).

كذلك كان البربر يحتفلون **بالمواليد الجدد** وهي من المناسبات ذات الطابع الاجتماعي العائلي والتي حظيت باهتمام دائم، حيث يقام الاحتفال الأسري بإعداد وليمة (العقيقة) احتفاءً بالمناسبة، ويذبح فيها خروف أو أكثر، مع نوع من الحلوى تسمى العصيدة(٥) في اليوم السابع من الولادة، كذلك في مناسبة

(١) التادلي: التشوق إلى الرجال التصوف، ص٢٧٤. ابن الحاج الفاسي: المدخل، ج١، ص١٣٩.

(٢) هو اليوم العاشر من شهر محرم في التقويم الهجري ويسمى عند المسلمين بيوم عاشوراء ويصادف اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي حفيد النبي محمد في معركة كربلاء لذلك يعتبره الشيعة يوم عزاء وحزن

(٣) ابن الحاج الفاسي: المدخل، ج١، ص١٤١.١٤٢.

(٤) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١١، ص٢٧٨ـ ٢٧٩. عبد الرزاق إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٩١.

(٥) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١، ص٢٢. سعيد عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مج١١، ص١٠٣.١٠٤، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٨٠م.(**العصيدة:** هي نوع من أنواع الحلوى وكانت تصنع من العسل وسميد القمح. التجيبي، ابن رزين: فضالة

الختان؛ حيث يتم دعوة الأهل والأقارب[١].

يذكر أن الاحتفال ببعض أعياد المسيحيين كان شائعاً في المغرب[٢]؛ فكان أهل البادية يحتفلون بذكرى مولد النبي يحيى عليه السلام وكان يعرف بعيد (العنصرة) وكانت تتم مسابقات في ركوب الخيل وتزين النساء البيوت ويحرصون على الاغتسال في ذلك اليوم، كذلك كانوا يشاركون المسيحيين في الاحتفال بـ(عيد الربيع)[٣]، أما اليهود فكانوا يهدون جيرانهم المسلمين أرغفة الخبز في عيد الفطر الخاص بهم على سبيل المودة وحسن الجوار[٤].

- عادات اجتماعية سيئة:

تنتشر في كل مجتمع عادات اجتماعية سيئة، تختلف من مجتمع إلى آخر، وفي المغرب بعد تحول المجتمع من بدوي إلى متحضر، يعمل في الصناعة، والتجارة، الأمر الذي رفع من المستوى المعيشي للسكان وتنافس الناس على التفنن في الملبس والمأكل والاحتفال بالزواج والمناسبات، وفي الوقت نفسه انتشرت العديد من العادات السيئة في المجتمع التي لا يقبلها الإسلام؛ مثل: الإسراف، والبذخ في الحفلات، وعصر الخمور وشربها[٥]، والغناء والرقص،

الخوان في طيبات الطعام، ص٧٦، ٢٤٧).

(١) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١، ص٢٢. ناهد السيد مصطفى سعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب في عصر الفاطميين "٢٩٦هـ/٩٠٩م .٣٦٢هـ/٩٧٣م"، ص٢٧٦، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٠م.

(٢) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٦، ص٧١.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٢.

(٤) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١٠، ص٢٥٨.

(٥) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٥. الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٣٩.

والاختلاط في الاحتفالات، وكان لهم مكان يسمى الصنيع وهو مجلس للهو يشبه الحانة تعزف وتغني فيه القيان، وتضرب على العود، وينتشر في هذه الأماكن شرب الخمر(١).

تبرج النساء بالزينة، وكذلك اللجوء للسحرة، والمشعوذين في حل المشاكل أو العلاج(٢)، ومن ذلك ما طرأ على المجتمع في عهد الرستميين من تفشي الفسق وشرب الخمر، الأمر الذي ثار عليه الفقهاء والعلماء وتبرموا منه(٣).

- البيوت والأدوات:

كان البربر يسكنون أنواع مختلفة من البيوت على حسب المنطقة التي يعيشون فيها؛ سواءً في الحضر أو الريف؛ فكان أهل الريف يبنون بيوتهم من التراب المخلوط بالجص المعروف بالطابية(٤)، وعرفت الدور المغربية عادةً بأنها قليلة الأثاث، كما عُرفت المناطق الريفية باستخدام الأواني الخشبية، والفخارية، المهمة لعمل خبز الشعير بدون خميرة، كذلك لتسخين بذور الهرجان لاستخراج الزيت منها، وكانوا يستعملون طسوت الغسيل ومعاجن دقيق الحنطة من جلود السلاحف البرية الضخمة أو من الخشب مثلها مثل القصاع التي تستخدم لتقديم الطعام، ومن أدوات المطبخ الخشبية الملاعق،

(١) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١، ص٢٢، ج٦، ص١٤٦، ٤١٧. ابن عمر: أحكام السوق، ص١١٩.

(٢) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٢٧.

(٣) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٩١. عبد الحليم موسى: دولة بني حماد، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٤) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١٠٩.

والألواح المصنوعة من الخشب المصقول والقوي[١]، أما سكان المدن فقد استخدموا أواني النحاس وبعض الحديد إلى جانب الفخار والخشب[٢].

- **الملابس:**

تميزت الشعوب في الماضي بأزيائها، وطريقة ارتدائها؛ وذلك بسبب اختلاف المناخ أو العادات والتقاليد والدين، كذلك العزلة التي منعت العالم من الاختلاط والتعرف على الآخرين وتقاليدهم، وكان البربر كغيرهم من الشعوب لهم ملابس مميزة عرفوا بها، ومنها جاءت تسمية البربر البرانس، والبربر البتر، والملثمين نسبة إلى ملابسهم، وقد أطلق العرب تسمية البتر على من يلبسون الزي البربري بدون غطاء الرأس[٣]، ومن القبائل البترية التي تميزت بهذا اللبس قبيلة لواتة، ونفوسة، ونفزاوة، ومغراوة، وزناته، ومطغرة، ومغلية، ومكناسة، وأوروبة وكتامة، وهوارة، وغمارة، وأزدجة، ومسطاطة، وجزولة[٤].

أما البربر البرانس فمفردها برنس وهو لباس عبارة عن ثوب طويل أو عباءة مع غطاء للرأس، وإلى جانب عباءتي البرانس والبتر كان هناك الزي المغربي الدارج، وهو كساء الصوف؛ إذ اشتهر بربر المصامدة بلبسه[٥] وكان يلتف على الجسم بشكلٍ وثيق، وكذلك قطعة قماش صوفية تلتف حول

(١) مجهول: كتاب الطبيخ، ص٨٤.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٢. الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٥٦. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١١٢-١١٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٨٩. عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٩٠.

(٤) عبد الواحد ذو النون طه: الفتح العربي في شمال إفريقية، ص٤٧.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٨.

الرأس، مثل لبس الجدد عند أهل ليبيا المحدثين، وكذلك بربر برقة وطرابلس وفزان[١]، وتميز البربر البرانس باللون الأسود[٢]، في حين أن البربر البتر تميزوا باللون الكحلي[٣]، وكان البربر يتميزون بلبس اللثام مثل قبائل صنهاجة الجنوب فكانوا ملثمين ولا يعرف الرجل منهم؛ إلا إذا كان لابساً اللثام[٤]، كذلك بربر سجلماسة إذ وصفهم البكري[٥] بقوله: " وهم ملتزمون النقاب فإذا حسر أحدهم عن وجهه لم يميزه أهله"، وكانت عادة لبس اللثام لدى البربر منذ الطفولة وينشأ الأطفال على ذلك، لأنهم يزعمون أن الفم سوءة يجب ستره لما قد يخرج منه من كلام[٦]، لكن التطور العمراني السريع في المدينة جعل السكان يتركون لبس اللثام بالتدريج[٧].

أيضا علمهم زرياب[٨] الموصلي الذي جاء من بغداد إلى المغرب عادة لبس

---

(١) **فزان:** يصفها اليعقوبي بأنها بلد واسع وقد كانت تابعة إدارياً ومذهبياً للدولة الرستمية.(اليعقوبي: البلدان، ص.١٠٣. الشماخي: السير، ج١، ص١٦٣.١٦٤).

(٢) البكري: المغرب، ص١٥٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١١٦.

(٤) البكري: المغرب، ص١٦٥، ١٧٠.

(٥) المغرب، ص١٥٨.

(٦) اليعقوبي: البلدان، ص٣٥٩-٣٦٠. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، ص٩٩، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

(٧) الحبيب الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة مدرار، ص١٥٦-١٥٧.

(٨) **زرياب** هو أبو الحسن علي بن نافع ١٧٣ - ٢٤٣هـ / ٧٨٩-٨٥٧ م، موسيقي ومطرب عذب الصوت من بلاد الرافدين من العصر العباسى، عاصر الخليفة المهدي . كانت له إسهامات كبيرة وبارزة في الموسيقى العربية والشرقية. لُقِّب **بزرياب** لعذوبة صوته ولون بشرته القاتم الداكن ، ففرح به الرشيد فرحا وتعجب منه كثيرا وطلب من أستاذه إسحق أن

البياض بدلاً من الملابس الملونة، حتى في أيام حزنهم وبالذات بربر مدينة زويلة الذين غلب عليهم لبس البياض في كل المناسبات[١] والملاحظ عليه أن أهل المغرب والأندلس اتحدوا في لبس الثياب البيض؛ وقام زرياب بتعليمهم لبس الألوان حسب فصول السنة[٢]، فعلى سبيل المثال كانوا يلبسون البياض في الصيف، في حين كانوا بقية أشهر السنة يلبسون الثياب الملونة، واختيار نوع القماش حسب فصول السنة، ففي فصل الربيع كانوا يلبسون الجباب[٣]، والخز[٤] والدراريع[٥] الخفيفة، بينما ارتدوا في فصل الخريف الثياب الثقيلة ذات

يعتز به، إلا أن إسحاق داخله الحسد والحقد فهدد زرياب وخيره إما أن يخرج من بغداد أو أن يغتاله، فرجح زرياب الخروج من بغداد فخرج وتوجه إلى بلاد الشام ثم إلى شمال إفريقيا وأقام ردحاً من الزمن في بلاط بني الأغلب في القيروان إلى أن قرر التوجه إلى الأندلس. فكتب إلى أمير قرطبة أبو العاص الحكم بن هشام الأموي، المعروف بالحكم الربضي، يعرض عليه خدماته، فوافق الأمير على الفور.

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٨.

(٢) الصاوي، عبد المنعم حامد المرسى: معالم الحضارة الإسلامية في الأندلس، ص١٣٥، ط(١) ١٩٩٥م.

(١) **الجُبَّةُ:** هي نوع من أنواع الأردية تلبس على الكتفين، وجمعها جبب.(ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٦٤).

(٢) **الخزُّ:** نوع من أنواع الحرير، مرصع بالجواهر، ويعرفه ابن الأثير بأنه ثوب ينسج من صوف وإبرسيم قال: "قد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزي المترفين".(ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٦٠. الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي(ت٥٧٠هـ/١١٧٤م): الإشارة بمحاسن التجارة، ص٢٥، دار الاتحاد العربي، القاهرة،(د. ت).

(٣) **الدراريع:** مفردها دراعة، وهي عبارة عن لباس مشقوق من الأمام غير مخطط من الصوف، قد تكون مبطنة أو غير مبطنة، ومحلاة بعرى وأزرار. كان يلبسها الحكام الموظفون، وتنسج أحيانا بالذهب وترصع بالجواهر والياقوت.(سعيد سيد أحمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية في

الحشو والبطائن الكثيفة، وفي الشتاء القارس ارتدوا الجوخ[١]، والصوف، وكان هناك ظفائر من الصوف يلبسونها باللون الأحمر والأخضر[٢]، كذلك من لبسهم الثوبٌ السميك الذي كان يلبس في فصل الشتاء للوقاية من البرد يسمى (الدرندين)[٣]، كما كان أهل السوس الأدنى يلبسون ملابس الصوف أكثر من القطن والكتان نظراً لمتانته ومقاومته البرد[٤].

أما بربر صنهاجة فكانوا يلبسون نوعاً من القمصان يسمى المسح[٥] على أبدانهم، ويغطونه بثوب رقيق ناعم[٦]، كما اشتهر بربر المغرب بلبس (التشمير)

الأندلس "عصر دولتي المرابطين والموحدين(٤٨٤-٦٢٠هـ/١٠٩١-١٢٢٣م)، ص٢٢٧، القاهرة ١٩٩٦م).

(١) **الجوخ:** كلمة فارسية ومعناه قماش صوفي، رداء الراهب، خشن يغطى به الكتفين والظهر.(إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، م١، ص٩٤٣، إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، م١، فارسي.عربي، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٣، ٢٢٨. الونشريسي: المعيار، ج١٠، ص٢٥٨. سحر سالم: ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، العدد٢٧، ص٢٦١، مجلة المعهد المصري، مدريد، ١٩٩٥م.

(٣) **الدرندين:** ثوبٌ بسيط غير مكلف والغرض منه الوقاية من البرد لا أكثر. (الونشريسي: المعيار المغرب، ج١١، ص٢٧- ٢٨. عبد العزيز الأهواني: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي، ج٢، ص١٩٣، ٣٠٠، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٧).

(٤) ابن الفقيه: معجم البلدان، ص٨١.

(٥) **المسح:** هو لباس دون تفصيل يشبه كيس العبرانيين.(دوزي، رينهارت: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص٢٥٥ـ ٢٥٧، ترجمة/ أكرم فاضل، العراق، بغداد، ١٩٧١م).

(٦) البستي، محمد بن أحمد بن حيان التميمي(ت٣٥٤هـ): مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ص٩٩، صححه/ فلايشهمر، نشره لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٩٥م.

وهو القميص في العامية المغربية يغطي البدن كله ماعدا الرأس[١].

أما لباس الرأس مثل الغفارة وهي لباس يغطي العنق ومؤخرة الرأس من الصوف مثل القلنسوة[٢]؛ كما أشتهر بربر سجلماسة بإنتاج الأردية الحمراء التي تسمى الغفارات، وهي تنافس القصب المصري وكانت تطرز بصفائح الذهب والفضة[٣]، على الرغم من أن البربر وصفوا بأنهم أصحاب رؤوس حاسرة[٤]، لكن البكري[٥] أشار إلى أن بربر برغواطة كانوا كلهم يلبسون العمامة مستثنياً من ذلك الغرباء عن المنطقة، كذلك اهتم بربر لمتونة وصنهاجة بلبس العمامة ووصفوا بأن على رؤوسهم عمائم من الصوف تسمى بـ(الكرزاي)[٦]؛ كما كانت العمامة تختلف عند البربر من حيث الشكل؛ وخاصة عند رجال الدين والقضاة، وبقية الناس من العامة[٧].

أما الثياب الداخلية فقد كان السروال معروفاً عند أهل المدن، أما سكان الأرياف الباردة والجبال فيلفون سيقانهم بقطع من القماش بدلاً من السراويل الأمر الذي كان يسبب لهم آلام المفاصل مع التقدم في السن بسبب البرد

(١) ابن تيجلات، عبد الله(كان حياً في القرن الثامن الهجري): أثمد العينين في مناقب الأخوين، ص٢١٣، تحقيق/ محمد رابطة الدين، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، ١٩٨٦م.

(٢) دوزي، رينهارت: المعجم المفصل، ص٢٥٥.٢٥٧.

(٣) جمال طه: الحياة الاجتماعية، ص٢٣١.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١١٦.

(٥) المغرب: ص١٣٧.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٤.(**الكرزاي:** لفظ غير عربي مشتقة من الكلمة البربرية تكرزيت، وتعني عمامة الصوف. دوزي: المعجم المفصل، ص٢٥١).

(٧) دوزي: المعجم المفصل، ص٢٥١.

والجلوس على الأرض[١]، كما يذكر الونشريسي[٢] من ملابس الرجل المغربي السروال[٣] وكانت السراويل من الألبسة المشتركة بين الرجال والنساء[٤]، واشتهر بربر برغواطة بلبس السراويل والملحفة[٥].

أما النعال[٦]، فكان يلبس عند الرجال والنساء وكان يصنع من جلد الجمل أو من جلد الثور[٧]، كما لبس البربر نوعاً آخر من النعال يسمى (القرق) خاصة مدينتي فاس وسبته نظراً لخفته[٨]، إلى جانب ذلك انتعل بربر المغرب مايسمى بالقبقاب والهراكس، وهي بلغة بربر فاس الأحذية الخشنة أو البالية، وأجاز الفقهاء الصلاة بها إذ دخل رجليه فيها وهو على وضوء[٩].

---

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٩٤.

(٢) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١٠، ص٢٥٨.

(٣) **السروال:** عبارة عن ثوب فضفاض يغطي أسفل البدن حتى القدمين. (سحر سالم: ملابس الرجال في الأندلس، ص٢٥٩ .

Dozy,Dictionnair detaille des noms vestments, chez les Arabs, p.٢٠٤.

(٤) سحر سالم: ملابس الرجال في الأندلس، ص٢٥٩.

(٥) البكري: المغرب، ص١٣٧.

(٦) **النعال:** الحذاء الرقيق، وهو عبارة عن فراش من الجلد يوضع تحت القدم ويُشد إليها بواسطة شريطين من الجلد يمر إحداهما وسط الرجل والآخر بين الإصبع الأكبر والثاني اللي يليه، وهو عند العرب من لبس الملوك.(ابن صاحب الصلاة، عبد الملك كان حياً٥٩٤هـ/١١٩٨م): المن بالإمامة على المستضعفين، ص١١٧، تحقيق/ عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦م).

(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٢٧ .

(٨) الباديسي: عبد الحق بن إسماعيل(كان حياً سنة ٦٥٠هـ): القصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، ص٥١٨، تحقيق/ سعيد إعراب، ط(٢) ١٩٩٣م، المطبعة الملكية، الرباط.

(٩) الونشريسي: المعيار، ج١، ص١٢.١٣.

- **لباس المرأة وتزيينها:**

فيما يتعلق بزي المرأة يظهر ذلك على وجه الخصوص في الاحتفالات والمناسبات، وأهمها حفل العرس؛ حيث حرصت على الظهور في أبهى حلة، ولاشك أن وسائل الزينة التي استعملتها المرأة البربرية اختلفت على حسب مستواها الاقتصادي، فكانت المرأة تلبس ملابس الحرير، والكتان، وتغطي رأسها بالملحفة(١) القطنية التي تُلبس في فصل الشتاء للوقاية من البرد، وهناك نوعٌ آخر من الملحفة يلف به الجسم عرضه يصل إلى ثلاثة أذرع بينما طوله إلى ثمانية أو تسعة أذرع، يلتف به الرجال والنساء على السواء، ويلبس من فوق الثياب، ويرجح الملصي(٢) أن هذا النوع من الثياب إلى جانب الثوب المعافري انتشر بين البربر بعد دخول الكثير من اليمنيين المغرب زمن الفتح.

كذلك من لباس المرأة ثوب يعرف بـ(الملوطة)(٣)، ومن بين أزياء نساء البربر ثياب القطيفة، وكان يشترى للنساء عند زواجهن فهو من الألبسة التي تتجهز به العروس إلى زوجها، وكانت القطيفة نوعاً من الثياب الحسنة التي

---

(١) **الملفحة:** هي لباس يلبس فوق سائر الثياب يستخدم دثار للبرد.(ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٣١٤).

(٢) القبائل اليمنية في بلاد المغرب، ص٢٥٩-٢٦٠. طلبه، داليا عبد الهادي: المغرب الأقصى قضاياه السياسية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من خلال نوازل الونشريسي(٧٥٩-٩١٤هـ/ ١٣٥٧-١٥٠٨م)، ص٢٢٤، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٩م.

(٣) الملوطة: كانت لباساً للمرأة وتعتبر من القفاطين النسائية الواسعة المصنوعة من النسيج الرفيع من الحرير والمخمل، ولم تكن شائعة الاستعمال سوى في عدد قليل من مناطق المغرب مثل فاس وتطوان.(محمد مقر: اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي، ص١٠٨-١٠٩، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، ٢٠٠٦م).

تفضلها المرأة البربرية، وكان الزوج يحرص على شراء هذا النوع من الثياب لزوجته(١).

كما كان الأغنياء على عادتهم يحبون الغالي والنادر من الثياب من الديباج والحرير(٢)، وتنافست النساء في اختيار الأقمشة اللامعة والمطرزة والموشاة بالذهب والفضة، وأنواع أخرى من القماش الخفيف الشفاف المطرز ويلعب الوضع الاقتصادي دوراً كبيراً في تحديد نوع القماش وقيمته(٣).

وبعض نساء البربر لبسن البرقع أو مايسمى بالنقاب أو الخمار على الوجه(٤)، وفي بعض مناطق البدو في تونس وتلمسان كانت المرأة ترتدي نقاباً يغطي الوجه به ثقوب صغيرة عند العينين(٥).

أما لباس الرأس فكانت المرأة الصنهاجية تخرج كاشفة الوجه متمتعة بحرية المظهر(٦)؛ كما لبست النساء البربريات غطاء الرأس، وكان يسمى وقاية وهي غطاء تحت المقنعة والعصابة التي تشبه الطاقية، كما كانت المرأة البربرية تغطي رأسها بخرقة كي تقي الخمار من الاتساخ إذا ما حملت حطباً أو ماءاً أو

(١) الونشريسي: المعيار، ج٣، ص١١٩، ج٦، ص١١٦.

(٢) ابن الوردي: أبي حفص عمر(ت٨٦١هـ/١٤٥٦م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٧، تصحيح/ محمد فاخوري، دار الشرق العربي، سوريا،(د. ط)،(د. ت).

(٣) جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص٩٥. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،١٩٨٤م. الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص٢٦٠.

(٤) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن(ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م): المطرب في أشعار أهل المغرب، ص٧٥، تحقيق/ عوض كريم، طبعة الخرطوم، ١٩٤٥م،(د. م). الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٩٠. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١١.

(٥) كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص٧٣.

(٦) جورج مرسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص٢٧٩.

سمناً[١].

كذلك كانت النساء يلبسن الجوارب والأخفاف[٢] وشاع بينهن لبس النعال، والصرارة[٣] التي تحدث صوتاً في المشي مما يجذب انتباه الرجال[٤] الأمر الذي أزعج الفقهاء وكانوا يمنعون الخرازين في بعض الأحيان من عمل الأخفاف الصرارة للنساء لما في ذلك من الفتنة[٥]، أيضا كانت المرأة في بلاد المغرب تتحلى بالأقراط الذهبية، والأساور للمعصمين، كذلك كان النساء يلبسن الخلاخل من الفضة في أسفل الرجل ويصدر صوتاً أثناء المشي في الشارع مما يلفت الانتباه[٦]، كما كن يلبسن حلي الذهب من أساور وعقود مرصعة بالجواهر مثل نساء جبل البرانس كان من عاداتهن التزين بالكثير من الحلي والفضة[٧].

وكان الرجال والنساء على السواء يستخدمون الخضاب[٨] لتلوين الشعر

(١) دوزي: المعجم، ص٣١٥.٣١٦.

(٢) **الأخفاف:** ومفرده خف وهو ما يلبس في الرجل(الزبيدي، محمد مرتضى(ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٢، ص١٨٠، تحقيق/ علي شيري، ط(١)، ١٩٩٤م، دار الفكر.

(٣) **والصرارة:** نوع من الأحذية يصدر صوتاً وقد تضاف إليه خرزة.(الزبيدي: تاج العروس، ج٤، ص٤٥٠- ٤٥٥).

(٤) كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٤٠.

(٥) المراكشي: المعجب، ص٣٨٣.

(٦) روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ج٢، ص١٠٠، ترجمة/ نقولا زيادة، بيروت ١٩٦٧م. أبو القاسم محمد كرو: عصر القيروان، ص٢٦. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٤١.

(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٦١.

(٨) **الخضاب:** نوع من الصباغ يستخدم لتلوين الشعر، والكف.(الزبيدي: تاج العروس، ج١،

واللحية البيضاء، وكذلك الحناء والخضاب في تلوين الشعر والكف، وكذلك أنواع العطور والطيوب والأصباغ التي تستخدم للجسم، والشعر وتستعملها النساء بكثرة في الأعراس(١).

- لبس الجنود:

كان جنود البربر وخاصة الزناتيين يلبسون زياً حربياً مميزا يقوم على استعمال الدروع الجلدية الخفيفة(٢)، وكان الفرسان من بربر صنهاجة الحضر أو بربر مصمودة الجبل يلبسون البرنس وكان معروفاً أنه رداء الفرسان(٣)، وعموماً كانت ملابس البربر العسكرية وأسلحتهم ودروعهم خفيفة، الأمر الذي سهل حركتهم، وكان ذلك سبب تفوقهم على الأسبان، الذي كان واضحاً في عهد الدولة المرينية والزناتية في القرن السابع الهجري، مما اضطر الأسبان إلى اقتباس هذا النوع الحربي من اللباس لفرقهم العسكرية التي سموها Zenetes أي الزناتيون، ثم لم يلبث هذا اللفظ أن تطور بعد ذلك في اللغة الأسبانية إلى Jinete وهو لفظ يدل على معنى فارس(٤).

- وسائل التسلية والترفيه:

من مظاهر الحياة الاجتماعية في أي مجتمع وسائل للترفيه؛ التي قد تتحول إلى عنوان وسمة بارزة في حياة المجتمع والتعريف به للعالم، ومثلما كان البربر

ص٤٦٥).

(١) الونشريسي: المعيار المغرب، ج١٠، ص٢٥٩، ٣٤٧، ج١٢، ص٦٣٧. كمال السيد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٤١.

(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٨. العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٥.

(٣) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١١٤.

(٤) العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٥.

متميزين في حياتهم وملابسهم وتقاليدهم؛ كذلك كانوا متميزين في وسائل الترفيه والتسلية لديهم.

ومن أهم مظاهر التسلية الخروج في النزهات إلى الغابات، والمناطق الجبلية الممتدة على نطاق واسع من أرض المغرب، مثل: إقليم برقة، وقسنطينة، وإقليم وهران، وتاز، وجبال غمارة(١)، كذلك المناطق الصحراوية التي بها غطاء نباتي خفيف، وكانوا يخرجون في رحلات للصيد والتسلية برفقة الكلاب(٢)، ومن وسائل التسلية المصارعة بين الرجال أو بين الحيوانات، وكذلك سباقات الجري وركوب الخيل، وكان سكان المدن يذهبون إلى مجالس الطرب والغناء والشعر(٣). مع مرور الوقت انتشرت بعض العادات القبيحة في التسلية مثل شرب الخمر في الحانات والاختلاط فيها بالراقصات والقيان والمغنيات، أيضا كان هناك مجالس في بيوت الخلفاء الفاطميين والولاة وجد بها جواري يجدن فن الغناء والموسيقى والرقص، وهو أمرٌ حاربه الفقهاء في المجتمع واستنكروه كثيراً؛ بالإضافة إلى اختلاط الرجال بالنساء في الحفلات والمناسبات(٤)، وكانت النساء كذلك يخرجن للتنزه والتسلية ويحضرن حفلات الأعراس، ويجلبن المغنيات والقيان إلى العرس في حفلات ليلية(٥).

وكان جارياً أن الأغنياء من الناس يهتمون بوسائل الترفيه وجلب المغنيين

(١) اليعقوبي: البلدان، ص١٠٠. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص١٠٧.
(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٧١.
(٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٢.
(٤) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص٤٥١، ٤٨٥. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٩١. عبد الحليم موسى: دولة بني حماد، ص٢٣٥-٢٣٦.
(٥) كمال السيد: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠٦.

والقيان[١] وكان البربر يحبون سماع الشعر وترديده، وكانوا يحترمون الشعراء ويجزلون لهم العطاء[٢]، كذلك بربر مدينة بجاية كانوا يميلون إلى الموسيقى والرقص[٣].

(١) الملصي: القبائل اليمنية، ص٢٧٧.

(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٧٣.

(٣) المصدر نفسه: ص٤٢٣.

obeikan.com